

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[117] بحث حضور الأ سبحانه في كلّ نجوى: تقدّم أنفاً أنّ الأ تعالى ليس جسماءً وليست له عوارض جسمانية، ومن هنا فلا يمكن أن نتصوّر له زماناً أو مكاناً، ولكن توهّم أن يوجد مكان لا يكون إلا عزّ وجلّ فيه حاضراً وناظراً يستلزم القول بتحديدده سبحانه. ويتعبير آخر فإنّ الأ سبحانه إحاطة علمية بكلّ شيء في الوقت الذي لا يكون له مكان، مضافاً إلى أنّ ملائكته حاضرون في كلّ مكان، ويسمعون كلّ الأقوال والأعمال ويسجّلونها. لذا نقرأ في حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير هذه الآية أنّه قال: "إنّما أراد بذلك إستيلاء أُمّنا بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه، وإن فعلهم فعله"(1). وطبيعي أنّ هذا هو بعد من أبعاد الموضوع، وأمّا البعد الآخر فيطرح فيه حضور ذات الأ عزّ وجلّ، كما نقرأ في حديث آخر هو أنّ أحد كبار علماء النصارى سأل عن أمير المؤمنين (عليه السلام): أين الأ؟ قال (عليه السلام): هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت، ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم)(2). وفي الحديث المعروف (الإهليلجة) نقرأ عن الإمام الصادق (عليه السلام): إنّ الأ تعالى سمّي "السميع" بسبب أنّه لا يتناجى ثلاثة أشخاص إلاّ هو رابعهم... ثمّ أضاف: يسمع دبيب النمل على الصفا وخفقان الطير في الهواء، لا يخفى عليه خافية، ولا شيء ممّا تدركه الأسماع والأبصار، وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جلّ من ذلك وما دقّ وما صغر وما كبر(3). * * * 1 - نور الثقلين، ج5، ص258، حديث20. 2 - تفسير نور الثقلين، ج5، ص259، الحديث23. 3 - نور الثقلين، ج5، ص258، حديث21.